مجلة الإحياء، المجلد 25، العدد: 36، جانفي 2025، ص - ص: 341-352
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أنماط السجع في كتاب البخلاء للجاحظ وأثرها البلاغي

The patterns of rhyme in the book Misers by Al-Jahiz- and their rhetorical impact

هدى بن الزبير[1] د/ عبد القادر نبق
Houda BENZOUBIR Abdelkader NEBAG
المدرسة العليا للأساتذة – الأغواط
مخبر علوم اللسان – الأغواط
h.benzzoubir@ens-lagh.dz a.nebeg@ens-lagh.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/11 تاريخ القبول: 2025/01/06

الملخص:
يتناول هذا البحث ظاهرة من الظواهر البلاغية وخاصة في علم البديع الذي هو أحد فروعها والذي يهتم بالصنعة اللفظية وتحسين الكلام، ويعدّ السجع أحد أبرز أساليبه وأنواعه الذي تتوافق أواخر كلمات النثر فيه على حرف واحد، مما يضفي على النصوص إيقاعا موسيقيا يجعل القارئ يستمتع وينجذب إلى القراءة انجذابا فوقفنا على مفهوم البلاغة وعلومها الثلاث ثم ركزنا على السجع وأنواعه مع عرض نماذج من كتاب تراثي مليء بالتنقيب والبحث، فحاولنا رصد أبرز الشواهد التي تحتوي على السجع وكيف كان أثرها في هذا الكتاب الذي هو كتاب البخلاء للجاحظ حيث أسلوبه يعتمد على الحوار والسجع كما تتسم تراكيبه بالجمال والصنعة اللفظية. فلغة البخلاء لغة بلاغية تحتوي على كل علوم البلاغة وأدواتها مثل تراكيبها المتميزة وكناياتها ولغتها التي احتوت على المحسنات اللفظية، مثل السجع الذي هو مجال بحثنا ودراستنا.
وقد توصلنا من خلال البحث في هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها أن الجاحظ استخدم السجع بشكل مميز ساعد في إبراز الطابع الفكاهي الساخر للكتاب مما ساهم في إيصال المعاني بطريقة بلاغية تأثيرية مع أن الجاحظ استخدم السجع بكثرة، لكن ذلك جعله أداة فعالة جعلت القصص أكثر إمتاعا وتوضيحا لمعانيها.
وهذا ما أدى بنا للكشف عن بعض أسرار انجذاب القراء لكتاب الجاحظ وما يتميز به من أسلو ب يجمع بين السخرية والجد.
الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ علم البديع؛ السجع؛ الصنعة اللفظية؛ البخلاء.

Abstract :
This research deals with the phenomenon of rhetorical phenomena, especially in the science of metaphors and stylistics, which is one of its branches, which is interested in verbal workmanship and improvement of speech, and is rhyme one of the most prominent methods and types, which correspond to the last words of prose in it on one letter, which gives the texts a musical rhythm makes the reader enjoy and attracted to reading attraction and we stood on

[1]- المرسل المؤلف.

the concept of rhetoric and its three sciences and then we focused on rhyme and its types with the presentation of models of a heritage book full of exploration and Research, we tried to monitor the most prominent evidence that contains rhyme and how its impact was in this book, which is the book of misers by Al-Jahiz, where his style depends on dialogue and rhyme as its compositions are characterized by beauty and verbal workmanship. The language of misers rhetorical language contains all the sciences of rhetoric and tools such as structures distinct and metaphors and language that contained verbal enhancers such as rhyme, which is the field of our research and study.

Through research on this topic, we have reached a set of results, perhaps the most prominent of which is that Al-Jahiz used rhyme in a distinctive way that helped to highlight the humorous and satirical character of the book, which contributed to the delivery of meanings in a rhetorical and influential way, although Al-Jahiz used rhyme frequently, but that made it an effective tool that made the stories more enjoyable and clarifying their meanings. This led us to reveal some of the secrets of readers' attraction to Al-Jahiz's book and its style that combines irony and seriousness. Through research on this topic, we have reached a set of results, perhaps the most prominent of which is that Al-Jahiz used rhyme in a distinctive way that helped to highlight the humorous and satirical character of the book, which contributed to the delivery of meanings in a rhetorical and influential way, although Al-Jahiz used rhyme frequently, but that made it an effective tool that made the stories more enjoyable and clarifying their meanings. This led us to reveal some of the secrets of readers' attraction to Al-Jahiz's book and its style that combines irony and seriousness.
Keywords: rhetoric; the science of metaphors and stylistics science; rhyme; verbal workmanship; misers.

مقدّمة:

لقد كان شرف العرب نزول القرآن بلسان عربي مبين الذي لقي اهتماما من طرف العلماء، فتعددت الدراسات لفهم تفسيره ودراســة تراكيبه وجمال نظمــه وإعجازه وبيانه ومعانيه، وكان أحد اهتمامات العلماء فهم بلاغته وفصاحته حيث تعتبر البلاغة أساس العربية ومرتكزها، الذي كان لها الفضل في فهم لغة العرب وفصاحتهم، فهي من أهم العلوم التي غايتها المعنى الجميل الواضح اللفظ والفصيح العبارة، ولم تكن البلاغة مقتصرة على دراسة الشعر والنثر وكلام العرب فقط إنما اتجهت للأصعب وهو كلام الله عز وجل القرآن الكريم بل جاءت خدمة له، وقد قسمت البلاغة إلى علوم ثلاث؛ علم المعاني الذي يهتم بالتراكيب وعلم البيان الخاص بكل من البيان والتشبيه والاستعارات وغيرها وعلم البديع الذي مهمته تحسين الكلام وتزيينه.

أما الأخير فهو محل اهتمامنا الذي تعددت مواضعه وفصوله من بينها السّجع؛ حيث يعتبر السجع أحد مميزات تراثنا العربي الذي ترك صدى في النفوس لاحتوائه على الحسن والجمال؛ فالنثر القديم لا يكاد يخلو من إدراج السرد مما زاده قدرا وفخامة.

كيف تلاعب الجاحظ بالألفاظ ونوع في استخدام السجع ليخلق جرسا موسيقيا يقوي المعنى ويكسبه جمالا ورونقا ؟ وما تأثير ذلك على النص وعلى القارئ؟

وكيف وظّف الكاتب الفذ هذا اللون من المحسنات البديعية في بعض ما جاء في كتابه البخلاء؟

وهذا ما سنحاول كشفه والإجابة عنه من خلال ورقة بحثنا هذه. والبداية ستكون بتعريف هذا العلم ومعرفة أنواعه وضبط مفاهيمه.

فما هو السجع؟ وماهي أنماطه؟

تعود أولى أهميات الدراسة إلى أهمية الكتاب نفسه "كتاب البخلاء لعمرو بن بحر الجاحظ "كونه موسوعة ومدونة ثرية احتوت على كل شيء مما جعلنا ندرس جانبا بلاغيا بديعيا فيه، وبغية تطبيق دراسة تهدف عن الكشف عن السجع الذي تواجد في بعض قصصه الذي تعتبر من النوادر التي تركت أثرا في النفوس لما تخلله كتاب البخلاء من قصص فريدة لا تكاد تخلو من البلاغة والفصاحة التي أبهرت القراء، فكيف وظف السجع في قصص البخلاء؟

أولا: تعريف البلاغة

لغة: البلاغة في اللغة تعني الانتهاء والوصول كما تطلق على فصيح اللسان، فقد جاء في لسان العرب أن مادة بلغ تعني: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا :وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا والبلاغة: الفصاحة، (...) وقد بلغ، بالضم بلاغة أي صار بليغا، وقولٌ بليغ: بالغ وقد بلغ"[1].

أما ابن فارس في مقاييس اللغة قال في مادة بلغ: "بَلَغ: الباء واللام والغين أصلٌ واحدٌ وهو الوصول إلى الشيء، تقول :بلغتُ المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: 2)، كذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللّسان لأنّه يبلغ بها ما يريد"[2].

أما اصطلاحا: للبلاغة مفاهيم عدة نذكر منها تعريف الخليل بن أحمد الذي عرفها بأنّها: "كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولفلك الحال وقعا، آخر كلامك مشابها وموارده لمصادره موازنا فافعل"[3].

ونجد أنّ الجاحظ قد جعل بابا كاملا في كتابه (البيان والتبيين) خاصا بالبلاغة وتعريفاتها، نذكر منها أشهر التعريفات الموجودة فيه تعريف العتابي حيث قال: "كلّ من أفهمك حاجته من غير حبسة ولا استعانة فهو بليغ"[4]، فهو قد حدد البلاغة في الإفهام فقط ولذلك نجد الجاحظ قال: "والعتابي حين زعم أنّ كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن أنّ كلّ من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقه أنّه محكوم له بالبلاغة (...) إنّما على العتّابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب والفصحاء"[5].

فالبلاغة عند الجاحظ ليست بالإفهام فقط إنما بالأسلوب الجيد السلس.

ونذكر منها تعريف ابن المقفع الذي سئل عن البلاغة فقال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل... والإيجاز هو البلاغة"[6]، فهو هنا قد جعل البلاغة في أقسام هي الصمت، الإسماع، الإشارة، الكلام، والكلام قسمه إلى الاحتجاج والمناظرة والجواب والشعر والكلام المسجوع[7].

أمّا البلاغة التي تكون في الكلام فهي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، فالكلام البليغ هو الكلام الواضحُ المعنى، الفصيحُ العبارة، الملائمُ للموضع الذي يطلق فيه، وللأشخاص الذين يخاطبون"[8].

والذي يقصد به مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو اختيار الكلام المناسب للمقام المناسب، وهناك كذلك البلاغة التي تكون في المتكلّم.

فمن العلماء القدماء من أيد ترادف الفصاحة والبلاغة مثل الجرجاني الذي نجده قد جعل الفصاحة والبلاغة والبراعة كلها ألفاظ لها نفس المعنى لا تكون في الألفاظ والمفردات إنما تكون في الكلام بعد توخي معاني النحو، وبين ذلك في كتابه دلائل الإعجاز وأبو هلال العسكري كذلك جعل البلاغة والفصاحة مترادفين، فكلاهما يرجع إلى معنى واحد، أما العلماء المتأخرين فهناك من حاول فصل البلاغة عن الفصاحة أمثال السكاكي وابن الأثير ومن تبعهما وأيدهما حيث جعلوا الفصاحة جزءا من البلاغة[9].

ومن تعريفات البلاغة تعريف أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين أنها: "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[10].

وجعل صاحب الصناعتين الفصاحة مقصورة على اللفظ والبلاغة مقصورة على المعنى[11].

كما نجد السكاكي قد عرف البلاغة بقوله: " بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدً ا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والإيجاز والكناية على وجهها"[12].

والواضح من خلال تعريفه للبلاغة أنّه جعلها وحددها في علمي المعاني والبيان ولم يهتم بعلم البديع ولم يذكره.

أما البلاغة عند المحدثين فقد عرفها عبد العزيز عتيق بأنها: "وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز وتأدية المعنى أداء واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام للمقال الذي يقال فيه وللمخاطبين به"[13].

وقد عرفها مؤلفا كتاب البلاغة الواضحة علي الجارم ومصطفى أمين: "البلاغة هي تأدية المعنى الجليل وضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون"[14].

أقسام البلاغة:

تنقسم البلاغة إلى ثلاثة علوم هي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، فعلم المعاني يهتم بالمعنى الذي يريد إيصاله المتكلم للسامع، أما علم البيان فيعمل على الصور والتشبيهات التي تدل على المعنى بطريقة غير واضحة، وعلم البديع فهو الجانب الجمالي للكلام من تحسين وتزيين مما يجعل السامع يتلذذ ما يسمعه من نظم وتناغم الكلمات والتئامها.

فقد عرف السكاكي **علم المعاني** بقوله: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[15].

أما علم البيان عرفه السكاكي بقوله: "وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[16].

أما علم البديع: هو العلم الذي وضعه ابن المعتز في كتابه "علم البديع" وهو أول من خصص دراسته فيه، فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام وتصنيعه مع مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، وهو ينقسم إلى محسانات لفظية ومحسنات معنوية، أما اللفظية ترجع على اللفظية كالجناس والسجع والمعنوية تكون خاصة بالمعنى مثل الطباق والمقابلة.

ووضح ذلك صاحب كتاب الإيضاح الخطيب القزويني بقوله البديع هو: "علم يبحث في طرق تحسين الكلام وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي وسمي بديعيا لأنه لم

يكن معروفا قبل وضعه وأول من دون قواعد البديع ووضع أصوله عبد الله بن المعتز وهو أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء الموصوفين"[17].

فالبديع يهتم بتزيين الكلام وتحسينه وصنعته مع وضوح دلالته، وذلك باستعمال المحسنات اللفظية كالجناس والسجع، وفي هذا البحث سنسلط اهتمامنا على السجع.

تعريف السجع:

السجع في المعاجم اللغوية يعني الكلام المقفى الذي تتفق أواخر الكلم على حرف واحد كما أنه يعني الصوت المتناسق الجميل، كما ورد في لسان العرب لابن منظور: "سجع يسجع سجعا استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا.... والسجع الكلام المقفى، والسجع أسجاع وأساجيع وكلام مسجع وسجع يسجع سجعا ومسجع تسجيعا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن"[18].

أما اصطلاحا: فهو اتفاق الفواصل في الحرف الأخير، الذي يزيد الكلام حسنا وجمالا.

السجع منذ العصر الجاهلي له مكانة هامة في الأدب والمجتمع، فكان الكهان يستخدمونه وسمي بسجع الكهان، كما كان في الحكم والأمثال والخطب الوعظية والمقامات والرسائل في العصور الأخيرة، فالسجع هو أحد ملمحات ومرتكزات الكتابة العربية بشتى أنواعها[19].

كما نجد أن النقاد لم يتكلموا عن السجع كثيرا نذكر منهم السكاكي الذي خصص كتابا من أوسع الكتب البلاغية نجده وضع جملتين لا غير عن السجع أما صاحب الصناعتين فقد فصل فيه قليلا، مثل ما فعل ابن الأثير كذلك...[20].

ويعد السجع من أبرز أدوات البديع استمالة للقراء لما يتركه من حس موسيقي وتأثير قوي على السامع والقارئ، وقد قسم السجع إلى ثلاثة أقسام هي:

1- السجع المطرف: هو ما يتفق من الألفاظ في الحرف الأخير ويختلفان في الوزن.

2- الترصيع: وهو اتفاق ألفاظ الجملتين في القافية و الوزن كما مثل لذلك السكاكي في مفتاح العلوم في قول الحريري: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع السماع بجواز وعظه"، فكما ترى أن كل لفظة في القرينة أي - الجملة – الثانية توافق ما يقابلها في القرينة الأولى فكلمة يطبع تقابل يفرع وكذا الأسجاع تقابل الأسماع وجواهر تقابل زواجر ولفظة تقابل وعظة"[21]. فالسجع المرصع هو وجود كل لفظة مقابلها في الجملة الأخرى قافية ووزنا.

3- السجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وقافية من غير جميع ألفاظ الجملتين مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (14)﴾ (الغاشية: 13-14).

يعد كتاب البخلاء من أشهر ومن أقدم الكتب التي حملت طابعا موضوعيا تخصص في البخل، حيث ساق الجاحظ حكاياته على لسان البخلاء أنفسهم أو اصطنع لهم رواة حكوا له قصص البخل والبخلاء، فهي قصص فريدة تصور لنا تصويرا دقيقا وجسيما كأننا نعايشه، كما أنه جمع فيه قصصا قائمة على الحوار والسرد وذلك بتقنية فريدة وتلاعب بالألفاظ مما تجعل القارئ يعيش تلك القصص لأنها رسمت لنا واقعا عايش الحقيقة وقوة فاقت الخيال في وصفه للبيئة والشخصيات البخيلة وخاصة البخل في الطعام، كما استعمل أسلوبا قويا تتخلله البلاغة كما مزجه بالبديع الذي تجعل القارئ ينشد إليه، فلغة البخلاء لغة بلاغية تحتوي على كل علوم البلاغة وأدواتها مثل: تراكيبها المتميزة وكناياتها ولغتها التي احتوت على المحسنات اللفظية مثل: السجع الذي هو مجال بحثنا ودراستنا.

بيان السجع في بعض قصص البخلاء:

السجع المطرف: ما ورد في رسالة سهل بن هارون من سجع مطرف من نماذج:

النموذج الأول: في قوله: "وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وإلا إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم ..."[22]، فالملاحظ هنا استعمال لون بديعي باستخدام نفس الفواصل وهي تكمن في حرف الميم في الألفاظ التي تدل على السجع المطرف وهي: (هدايتكم - تقويمكم- فسادكم- عليكم- إرشادكم) فقد توالت هذه الكلمات التي اختلفت وزنا واتفقت قافية.

النموذج الثاني: قوله: "كما جعل لكل دهر رجالا ولكل مقام مقالا... وأمات بالغذاء وأغص بالماء وقتل بالدواء... لا يغترن أحد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته"[23].

اتفقت الألفاظ: (رجالا - مقالا) في حرف القافية وهو حرف اللام.

(الغذاء - الماء - الدواء) حرف القافية هو الهمزة.

(عمره – ظهره - عظمه – قوته) نفس التقفية هي (ه).

النموذج الثالث: " فلستم علي تردون ولا رأيي تفندون".

وردت لفظتي (تردون- تفندون) على نفس القافية وهي (ن).

ومما ورد في السجع المطرف من قصة أهل البصرة من المسجدين:

النموذج الأول: "لا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل"[24].

الشاهد هنا في (الإبل- النخل) حيث وردتا على نفس الحرف الأخير (اللام) وهو من السجع المطرف.

النموذج الثاني: "وكرهت الكلفة ورجوت العافية"[25].

اللفظتان (الكلفة - العافية) يدلان على السجع المطرف لاتفاقهما في التقفية في حرف (ة).

وفي قصة أحمد بن خلف: "وهي تنوب عن الغداء ولها نفخة تغني عن العشاء وكل شيء من الأحساء، فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء"[26].

الشاهد هنا في الألفاظ (الغداء- العشاء- الأحساء-الماء) التي تدل على السجع المطرف بحيث اختلفت وزنا واتفقت تقفية.

بعض النماذج عن السجع المطرف:

النموذج	الشاهد	حرف التقفية	الصفحة
لكثرة الخير ورخص السعر	الخير- السعر	(ر)	60
حتى بدأ بنفسه ومن كانت هذه صفته وهذا مذهبه فغير مأمون على جليسه	نفسه- صفته- مذهبه- جليسه	(ه)	60
وسل عني القيقانية والقطرية وسل عني المشتبهة وذباحي الجزيرة.	القيقانية- القطرية- المشتبهة- الجزيرة	(ة)	68
وأي ضرب هم ؟ وما دواؤهم؟ وأي شيء علاجهم؟	هم- دواؤهم- علاجهم	(هم)	76
حين أكلوا بالبارجين وقطعوا بالسكين	البارجين- السكين	(ن)	93
لا يختطف كلية الجدي ولا يزدرد قانصة الكركي	الجدي- الكركي	(ي)	94
إذا وضع في فيه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزة	هريسة- ثريدة - حيسة - أرزة	(ة)	104
وإن كانت الدار مقرمدة أو بالأجر مفروشة... التهاون والقسوة والغش والفسولة	مقرمدة- مفروشة القسوة- الفسولة	(ة)	115
عاملة في الدور كما تعمل في الصخور	الدور- الصخور	(ر)	115

وهذا مع سوء القضاء والإحواج إلى طول الاقتضاء	القضاء- الاقتضاء	الهمزة	116
بما بين أهل الكوفة والبصرة وبالعداوة التي بين أسد وكندة	الكوفة – البصرة – كندة	(ة)	123
وأنت راغب في الذكر والشكر وإلا لتحرز الأجر	الذكر- الشكر – الأجر	(ر)	129
بكل علة ويطالبه بكل طائلة	علة- طائلة	(ة)	164
يفضل في الجامات والسكرجات	الجامات- السكرجات	(ج)	170

فكل النماذج السابقة تحتوي على السجع المطرف التي اختلفت فيه الألفاظ وزنا واتفقت رويا.

السجع المتوازي: من نماذج السجع المتوازي ما ورد في رسالة سهل بن هارون:

النموذج الأول: في قوله: "أجيدي عجنه خميرا، كما أجدته فطيرا"[27].

فكل من (خميرا- فطيرا) قد اتفقا وزنا (فعيلا) وقافية (حرف الراء) فهما تدلان على السجع المتوازي.

النموذج الثاني: في قوله: "... فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة.... وأمة لكعاء، وزوجة خرقاء... ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة"[28].

الشاهد في هذه الجمل هو الألفاظ: (نفيسة - غريبة) على وزن (فعيلة) والتقفية حرف التاء.

(لكعاء - خرقاء) على وزن (فعلاء) والتقفية هي الهمزة.

(القادة - السادة) لهما نفس الوزن والقافية.

النموذج الثالث: "وتقوس ظهره ورقة عظمه"[29]، فكل من (ظهره وعظمه) يتفقان قافية ووزنا وهما من السجع المتوازي.

النموذج الرابع: "... إلى المال المكتسب والغنى المجتلب"[30]، فظهرت لفظتي (مجتلب ومكتسب) على نفس الوزن وهو (مفتعل) ونفس التقفية هي (ب).

النموذج الخامس: "وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الأدباء"[31].

اتفقت لفظتي (حكماء-أدباء) في الوزن(فعلاء)و القافية هي الهمزة .

النموذج السادس: "وكان حكيما أديبا وداهيا أريبا"[32]، (أديبا- أريبا) هذان اللفظان يدلان على السجع المتوازي لأنهما اتفقتا وزنا (فعيلا) وقافية (ب).

ومما ورد في قصة أهل خرسان من السجع المتوازي:

النموذج الأول: "وكانا إما متلازمين وإما مترافقين"، فكل من (متلازمين - مترافقين): لهما نفس الوزن والقافية (ن).

النموذج الثاني: "يتعلق به المتغافل والمتجاهل"[33]. الشاهد هنا في لفظتي (المتجاهل والمتغافل) حيث وردتا على نفس الوزن (المتفاعل) ونفس التقفية حرف اللام.

النموذج الثالث: "وكان من عقلائهم وفقهائهم"[34]. هذان اللفظان يدلان على السجع المتوازي لأنهما اتفقتا وزنا وتقفية.

ومما ورد في قصة أحمد بن خلف من المتوازي: "وكانوا يتحفونه ويدللونه ويفكهونه ويحكمونه"[35]. فكل هذه الألفاظ على وزن واحد وهو (يفعلونه) وعلن نفس التقفية وهو من السجع المتوازي.

بعض النماذج عن السجع المتوازي:

النموذج	الشاهد	الصفحة
هذا والله الشيوع والتبوع والبذاء وقلة الوفاء	الشيوع – التبوع على نفس الوزن (فعول) والروي (ع) - البذاء- الوفاء نفس الوزن والتقفية	60
لابست السلاطين والمساكين	سلاطين- مساكين على وزن (مفاعيل) والروي(ن)	66
وخالطت النساك والفتاك	نساك - فتاك على وزن فعال وحرف الروي (ك)	66
عاجله بالحلاوة كما لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة	الحلاوة- المرارة على وزن (فعالة) والروي (ة)	67
سل عني الكتيفية والخليدية	كتيفية - خليدية على وزن واحدو روي واحد هو (ة)	68
وبقية أصحاب فاس وراس	فاس - راس	69
لم تعجمك الضراء ولم تزل في السراء	الضراء- السراء	69
هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة إلى حب الملوحة	الحموضة- الملوحة	74
إلى كراء القدور وإلى شراء الحب	كراء- شراء	87
يخضب اللحم ويغير الطعم	اللحم- الطعم	87
فقد شاركت المسرفين وفارقت إخوتي من المصلحين	المسرفين-المصلحين	88
والنفس عزوف ونفور ألوف	عزوف - ألوف	127
أبو الفاتك اللطاع والقطاع	اللطاع- القطاع	93
فإن كان لابد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة	المؤاكلة- المشاركة	94
إذا وضع في فيه لقمة هريسة أو ثريدة	هريسة - ثريدة	104
وجحظت عيناه وسكر وسدر	سكر- سدر	108
واتخاذ الحببة القاطرة والجرار الراشحة	القاطرة - الراشحة	113
ليس بينها وبين القصب والخشب	القصب- الخشب	114
غاية قريبة ومدة قصيرة	قريبة - قصيرة	115
بالشهوات ويفتح لهم أبوابا من النفقات	الشهوات – النفقات	117
استضعافه واستثقاله	استضعافه – استثقاله	117
ثم ليست الخيانة وسوء الولاية على شيء	الخيانة – الولاية	118
وصار بها ممتحنا وبثمنها مرتهنا	ممتحنا- ممتهنا	120
أوجب حرمة وأقدم صحبة	حرمة – صحبة	128
من أصحاب الصينيات والصلاحيات	صينيات - صلاحيات	147
واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة	الكظة - البطنة	152
لأن الطعام يسكر ويخدر ويختر	يسكر- يخدر- يختر	166
و بقية مرق وبعرق	مرق- عرق	170

فالشواهد التي في الجدول احتوت على السجع المتوازي فكل كلماتها اتفقت وزنا ورويا فكلمتا (عزوف – ألوف) جاءتا على وزن فعول ولها نفس الروي وهو حرف الفاء، ونفس الشيء مع (القصب – الخشب) وزن واحد وروي واحد، وباقي الأمثلة كذلك.

ومن النماذج ما جمع بين أنواع السجع ما ورد في قصة أحمد بن خلف: "ومن فتنة البناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدي الوكلاء فإنهم الداء العياء"[36].

هذا النموذج يحتوي على السجع المتوازي في الألفاظ: (البناء - النساء - الرياء) لاتفاقهم وزنا وتقفية.
كما يحتوي على السجع المطرف في: (الوكلاء – الداء - العياء) لاختلافهم وزنا واتفاقهم تقفية.
كذلك ما ورد في "تفسير كلام أبي فاتك" في: "إذا وضع في فيه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزة" فقد جمع بين السجع المطرف والمتوازي في: (هريسة - ثريدة) على وزن واحد وهو (فعيلة) وروي واحد هو (ة). (حيسة - أرزة) روي واحد ووزن مختلف، وكل من (هريسة - ثريدة - حيسة- أرزة) على نفس الروي وهو حرف التاء.

السجع المرصع أو الترصيع:

مما ورد في رسالة بن هارون في قوله: "أن يستوي في نفيس المأكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب"[37].

فكل من الجمل ما يقابلها في الجملة الأخرى وزنا (نفيس- غريب- ثمين- خطير) على وزن (فعيل). و (المأكول- المشروب- الملبوس- المركوب) على وزن (مفعول) وهذه الألفاظ دالة على السجع المرصع مع أنها اتفقت وزنا فقط إلا أن كل لفظة في الجملة ما يقابلها في الجملة الأخرى.

ومن النماذج ما احتوى على الترصيع في قصة أحمد بن خلف:

النموذج الأول: "وكيف صبري إذا جلدت وكيف قلة ضجري إذا حبست"[38]، الشاهد في هاتين الجملتين هو وجود كل لفظة ما يقابلها في الجملة الأخرى:

(صبري - ضجري) نفس الوزن (فعلي) والروي هو (ر).

(جلدت- حبست) كلاهما فعل مبني للمجهول على وزن (فعلت) ولهما نفس الروي هو (ت).

النموذج الثاني: "وأنت غلام لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك"[39]، يحتوي هذا النموذج على السجع المرصع وذلك في:

لسانك تقابلها ذكاؤك نفس الوزن والتقفية.

عقلك تقابلها حزمك فهما اتفقتا وزنا وقافية.

وما ورد في قصة الحزامي: "فإذا حجبناه فبلاء، وإذا أدخلناه فشقاء"[40]، فالشاهد هنا هو: في لفظ (حجبناه- أدخلناه) على وزن (فعلناه) و(بلاء- شقاء) نفس الوزن والتقفية التي هي الهمزة وهذه الألفاظ تدل على السجع المرصع لأن كل الكلمات اتفقت وزنا وقافية.

ومن الشواهد ما ورد في قصة الكندي: "وثلمته في المال واسعة وطعنته نافذة"، فكل من الألفاظ لها ما يقابلها في الجملة الموالية ف: (ثلمته- طعنته) على نفس الوزن والتقفية و (واسعة- نافذة) على نفس الوزن والروي وهذا من السجع المرصع.

ومن الأمثلة ما وجد في قصة الثوري: "ومرقته سلقة وجرذقته فلقة وسمكته شلقة..."[41]، فكل من الكلمات وجدت من يوازيها في الجمل الأخرى وذلك في (مرقته- جرذقته- سمكته) و (سلقة- فلقة- شلقة).

خاتمة:

وخلاصة القول من خلال رحلتنا في عالم البلاغة وخاصة مع علم البديع بدراسة آلية من آلياته التي هي السجع مع الجاحظ في كتابه البخلاء نستنتج مايلي :

- إن استعمال السجع لا يقتصر على رصف أواخر الكلمات بحروف روي واحد دون مراعاة ما يقتضيه التركيب من ناحية الصحة النحوية والصرفية دون إخلال بالمعنى، مع أن علم البديع يتناول صنعة فنية

لا يتحتم فيها الاتصال بالمعنى في بعض الظواهر، أي كما قال الأستاذ تمام حسان مراعاة المبنى والمعنى[42].

وهذا ما وجدناه فعلا في النماذج التي تشهد له بحسن اختيار اللفظة والعبارة وما يقابلهما من قوة معنى وجمال مبنى.

- إن الثراء اللغوي والتوظيف الحكيم للألفاظ المسجوعة والمتوازية، هو ما يساعد على جودة الكلام وبلاغته وذلك ما تيسر للجاحظ ومن سار على دربه.
- لقد تميّز الجاحظ في كتابه البخلاء بأسلوب قلّ نظيره ولم يسبقه إليه أحد، فقد مزج الفكاهة بالجد والبرهان المقنع بالتهكم الموجع، فاتخذ السخرية والتهكم أسلوبا له في النقد والإقناع. وهذا الجمع هو ما لم يتيسر لمن أراد مجاراته ومنافسته كونه أسلوب يتطلب دراية محكمة بالنقد الخفي والفكاهة والبداهة الظاهرة أو ما يسمى في عرف النقاد بالأسلوب السهل الممتنع.
- السجع يتطلب معايير فنيّة يفرضها الجنس الأدبي على اختلاف ألوانه كما يتطلب فهما وتصورا للمقام وحال المتلقي.
- يعد السجع أحد أبرز مظاهر الأدب العربي الذي يجعل الكلام أكثر حسنا وجمالا مع مراعاة مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة.
- الجاحظ تناول السجع بطريقة مختلفة، حيث نوع في استخدامه وتلاعب بالأفكار والمفردات التي تجعل القارئ ينسجم مع القصص مما جعلت هذه القصص أكثر وضوحا وانسجاما.
- الجاحظ استخدم السجع بشكل مميز ساعد في إبراز الطابع الفكاهي الساخر للكتاب، مما ساهم في إيصال المعاني بطريقة بلاغية تأثيرية، مع أن الجاحظ استخدم السجع بكثرة، لكن ذلك جعله أداة فعالة جعلت القصص أكثر إمتاعا.
- قصص البخلاء قد احتوت على السجع بمختلف أنواعه، لكن الغالب كان بوجود السجع المتوازي الذي قد تواجد بكثرة وطغى على معظم القصص.
- من الواضح أن السجع بأنواعه قد أضاف حسا موسيقيا وجمالا لفظيا، مما جعل أجزاء القصص تتناغم وتتلاحم فيما بينها مما جعل نصوصها اكثر اتساقا.

قائمة المصادر والمراجع :

1- أبو عثمان بحر بن عمر الجاحظ (255هـ):
- البيان والتبيين، تح، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج1، 1998م.
- البخلاء، دار التقوى، القاهرة، ط1، 2016م.
2- أبو هلال العسكري (395هـ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء، الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1952م.
3- ابن منظور(711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، ج1، 2005م.
4- ابن المدبر (279هـ)، الرسالة العذراء، تح: زكي مبارك، القاهرة، ط2، 1391هـ.
5- أحمد بن فارس (395هـ)، مقاييس اللّغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج 1، 1999 م.
6- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة -البيان والمعاني والبديع-،دار الكتب العلمية،2007 م.
7- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، طبعة 1994م.

8- الخطيب القزويني (739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة- المعاني والبيان والبديع-، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م-1424هـ.
9- ديفن -ج ستيوارت، السجع في القرآن، تر: إبراهيم عوض، شركة الأهرامات للدعاية والنشر، ط 2، 1995م.
10- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2001م.
11- محمد أبو شارب، مدخل لدراسة البلاغة العربيّة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2007م.
12- شوقي ضيف، تاريخ البلاغة العربية، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت.
13- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.
14- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة "البيان- المعاني - البديع"، دار المعارف، 1999م.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، 2005م، ج1، مادة بلغ، ص 143.
[2]- أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1999م، ج 1، مادة بلغ، ص156.
[3]- ابن المدبر، الرسالة العذراء، تح: زكي مبارك، القاهرة، ط2، 1391هـ، ص 48.
[4]- أبو عثمان بحر بن عمر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 113.
[5]- نفسه، ص 113.
[6]- نفسه، 1/ ص 115.
[7]- ينظر : شوقي ضيف، تاريخ البلاغة العربية، ص 20.
[8]- محمد أبو شارب، مدخل لدراسة البلاغة العربيّة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2007م، ص203.
[9]- ينظر أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع-، دار الكتب العلمية، 2007م، ص 14.
[10]- أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء، الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1952م، ص 10.
[11]- ينظر: المرجع السابق، ص 15.
[12]- السكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
[13]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 10.
[14]- علي الجارم-مصطفى أمين، البلاغة الواضحة "البيان- المعاني - البديع"، دار المعارف، 1999، ص 8.
[15]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 161.
[16]- نفسه، ص 162.
[17]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 5.
[18]- ابن منظور، لسان العرب، مادة سجع، ص 500.
[19]- ينظر: ديفن -ج ستيوارت، السجع في القرآن، تر : إبراهيم عوض، شركة الأهرامات للدعاية والنشر، ط 2، 1995، ص 9.
[20]- ينظر: نفسه، ص 10.
[21]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 431.
[22]- الجاحظ، البخلاء، ص 15.
[23]- نفسه، ص 19.

[24]- نفسه ص 41.
[25]- نفسه، ص 44.
[26]- نفسه، ص 58.
[27]- نفسه، ص 16.
[28]- نفسه، ص 17.
[29]- نفسه، ص 19.
[30]- نفسه، ص 20.
[31]- نفسه، ص 22.
[32]- نفسه، ص 23.
[33]- نفسه، ص 32.
[34]- نفسه، ص 34.
[35]- نفسه، ص 58.
[36]- نفسه، ص 66.
[37]- نفسه، ص 17.
[38]- نفسه، ص 68.
[39]- نفسه، ص 69.
[40]- نفسه، ص 88.
[41]- نفسه، ص 148.
[42]- ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، 1994م، ص 20-19.